**الاثار الاقتصادية والحضارية لفريضة الزكاة في الاقتصاد الاسلامي**

**قيصر عبد الكريم حمودي**

**رسالة ماجستير نالت تقدير امتياز من كلية العلوم الاسلامية الجامعة العراقية عام ٢٠٠١**

**ملخص :**

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ومن والاهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن العالم في الماضي عاش صراعات كثيرة، وهي صراعات الجاهلية، التي تجلت في عصور ما قبل الإسلام، إذ كان الناس طبقات يعيش بعضها على حساب الآخر، فترى في المجتمع الواحد الأثرياء المتسلطين، والضعفاء المحتاجين؛ ولذلك كان الظلم والفقر هما العملة السائدة بين تلك الطبقات.

فلماء جاء نور الإسلام أضاء الأرض بما جاء به من أحكام ومبادئ، كان من أهمها فريضة الزكاة التي نحن بصددها، والتي غيّرت مجرى حال الإنسان من الأسوأ إلى الأفضل، ومن الحاجة إلى الكفاية، ذلك أنها سلوك ارتقائي أمر به الله تعالى كجزء من الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي الذي أراده الله لخلقه.

وتعد فريضة الزكاة أحد أهم موارد النظام المالي الإسلامي ومصارفه، وتمتاز بكونها لها القدرة على مسايرة تطور الزمن وحاجات المجتمع الإسلامي الكثيرة والمتنوعة، سواء على مستوى الفرد أم على مستوى الجماعة؛ ولذلك فرض الله الزكاة من خلال اتجاهين:

الأول: الأمر بإخراجها، والثاني: التوعد لمن يمنعها، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد ذلك.

والحقيقة... أن الزكاة لها جملة نتائج ايجابية تترتب على تطبيقها الصحيح، وهذا أمر لاشك فيه، مصادقا لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾( )، وهذه النتائج هي جملة آثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية «الثقافية»، وبشكل عام الحضارية.

وقد رأيت أن أغلب الناس يجهل أبعادها وآثارها على الإنسان والأسرة والمجتمع والدولة، ويعتقد أن الزكاة مجرد إخراج قليل من المال لبعض المحتاجين، من أجل أن يحصلوا على لقيمات من الطعام، أو إدخال الابتسامة على وجه أحد المحتاجين.

والحقيقية أن هذا الجهل له آثاره السيئة في عدم تطبيق فريضة الزكاة التطبيق الصحيح؛ لذا ترى الفقر شائعاً وسط المجتمعات الإسلامية، «وهذا بالتأكيد أحد أسباب ديمومة الفقر»، فالكثير من أصحاب الأموال يحسب أن ماله أخلده، وهذه حقيقة ذكرها القرآن... هذا جانب.

أما الجانب الآخر... فإن فريضة الزكاة تحتل مكانة مهمة في الاقتصاد الإسلامي، إذ تعد أحد أهم مقوماته التي يقوم عليها، وركائزه التي يستند إليها.

لذلك كله وجهت نظري نحو فريضة الزكاة؛ لأبين للمسلمين عامة، آثارها الاقتصادية والحضارية، التي تساهم في دفع عجلة التقدم المطلوب من أبناء الأمة الإسلامية؛ من أجل القيام بالخلافة والعمارة على هذه الأرض؛ لغرض عبادة الله  عليها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾( ).

وتقوم فكرة هذا البحث -الذي أصله رسالتي لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، الموسومة «الآثار الاقتصادية والحضارية للزكاة في الاقتصاد الإسلامي» والتي حازت على تقدير «امتياز»- على أن نظام الزكاة هو نظام اقتصادي وحضاري شامل، يتضمن عند تطبيقه -وفق ضوابط الشريعة الإسلامية- جملة نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية، تؤثر في الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، من خلال نقل جزء من القوة الشرائية، من ذوي الدخول العالية، إلى ذوي الدخول المحدودة، محققين بذلك عدالة في التوزيع، تعد أحد أهم أسباب إعداد القوة التي أمرنا الله تعالى بها، ممتثلين لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾( ).

ومن خلال التحليل العلمي وتوضيح بعض المسائل التي قال بها بعض الفقهاء -رحمهم الله-، وتوضيح بعض المسائل الاقتصادية والحضارية، واستخدام الرسوم البيانية والجداول، وسَوقِ الأمثلة التوضيحية، بيّنت عمق الآثار الاقتصادية والحضارية للزكاة، مؤكداً أن الزكاة: نظام شامل ومكمل لأركان الإسلام الخمسة المعروفة، التي ألزمنا الله تعالى بها، كونها الأداة الفاعلة والمؤثرة في إذابة الفروق الطبقية، ووسيلة إصلاح للنفس البشرية، من البخل والشح والحقد والبغض وذل السؤال، بها تتآلف القلوب، ويتراحم العباد، ويطهر الغني، ويكفى الفقير، ويتعلم الجاهل، ويشفى المريض، وتعالج الجرائم.

ولا شك أن للموضوع أهميته في بناء الحضارة الإسلامية المعاصرة، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث، كقلة المصادر التي عالجت الآثار الحضارية للزكاة، إلا أنني -وبعد عون الله تعالى وملاحظات أستاذي المشرف وتوجيهاته القيمة في هذا الجانب- تمكنت من صياغة الآثار الحضارية للزكاة، أملاً أن يكمل المشوار طلبة آخرون، فالموضوع يحتاج إلى رعاية علمية كبيرة، وباحثين جادين كذلك، خدمةً للدين الحنيف.

ولقد انقسم البحث على بابين، تضمنهما عدة فصول، تقدم كل واحد منها تمهيد، إضافة إلى هذه المقدمة والخاتمة.

أما الباب الأول: (الآثار الاقتصادية للزكاة) فقد تضمن ثلاثة فصول: الأول منها (الآثار التنموية للزكاة)، تضمن ثلاثة مباحث، تقدمها بيان الأبعاد المنهجية والتمويلية للزكاة.

وقد تضمن المبحث الأول مطلبين: بينت فيهما مفهوم التنمية وأثر الزكاة فيها، وفي مواجهة معوقاتها.

وتضمن المبحث الثاني: بيان موقف الإسلام من الفقر وأنواعه، وكيفية نشأته، ودور الزكاة في معالجته، من خلال إعطاء حد الكفاية للمحتاجين في ثلاثة مطالب.

وبينمنهما تناولت فيه صفات الزكاة، والثاني: كون الزكاة وسيلة من وسائل التمكين الاقتصادي في الأرض.

وتضمن الفصل الثاني (أثر الزكاة في أهم الأنشطة الاقتصادية) مبحثين: الأول منهما بينت فيه أثر الزكاة في الاستثمار والإنتاج، وفضل العمل في الشريعة الإسلامية، ودور الزكاة في تشجيعه والحد من البطالة، وأعطيت نموذجاً هو الرسول ﷺ في التشجيع على العمل، جعلته في مطلبين. والثاني منهما: بينت فيه أثر الزكاة في الاستهلاك والادخار، ودورها في إشباع الحاجات الاقتصادية الضرورية، وعلاقة الزكاة بقانون تناقص المنفعة.

وتضمن الفصل الثالث (الآثار التوزيعية للزكاة) ثلاثة مباحث: الأول منها: بينت فيه أثر الزكاة في توزيع الدخل، وفي إعادة توزيع الدخل، وفي تحقيق عدالة التوزيع، وقد تضمن هذا مطلبين. وبينت في المبحث الثاني: أثر الزكاة في زيادة التحصيل والإنفاق، ومعالجة الاكتناز والتضخم، على ثلاثة مطالب، وبينت في المبحث الثالث: أثر الزكاة في الملكية، وتخصيص الموارد والتوازن الاقتصادي، ومعالجة التقلبات، وعلى ثلاثة مطالب أيضاً.

وأما الباب الثاني (الآثار الحضارية للزكاة) فقد تضمن أربعة فصول:

الأول منها تضمن ثلاثة مباحث: بينت فيها مفهوم الحضارة الإسلامية، وعناصر تكوين الحضارة، والآثار الحضارية للزكاة في العنصر الاقتصادي، وفريضة الزكاة في ضوء مقاصد الشريعة.

وبينت في الفصل الثاني: الآثار الحضارية للزكاة في العنصر الاجتماعي، وقد تضمنه مبحثان: الأول منهما: فيما يخص الإنسان: بينت فيه الآثار النفسية لمعطي الزكاة، والآثار النفسية لآخذ الزكاة، وكونها تأميناً إسلامياً للإنسان، وأثرها في حرية الإنسان، وجعلتها في أربعة مطالب. وبينت في الثاني: فيما يخص الأسرة: أثر الزكاة في تشجيع الزواج، وفي تقليل التفاوت بين الطبقات (العدالة الاجتماعية)، وفي تنمية العلاقات الاجتماعية، وكونها تكافلاً وضماناً اجتماعياً للأسرة، وجعلتها في أربعة مطالب أيضاً.

وبينت في الفصل الثالث: الآثار الحضارية للزكاة في العنصر السياسي، وقد تضمن خمسة مباحث، بينت فيها أثر الزكاة في الدولة، والحاكم، والجهاز الإداري للزكاة، وأثر الزكاة في تشجيع الدعوة الإسلامية والجهاد الإسلامي، وأثرها في ابن السبيل.

أما الفصل الرابع والأخير (أثر الزكاة في التصدي لعوامل السقوط الحضاري)، فقد تضمن مبحثين: الأول منهما: بينت فيه أثر الزكاة في معالجة الجهل ودعم التعليم؛ (لأن العنصر العلمي هو العنصر الرابع من عنصر تكوين الحضارة) وموقف الشريعة الإسلامية من العلم، وأثر الزكاة في معالجة المرض، وقد تضمن هذا مطلبين. وفي المبحث الثاني: بينت أثر الزكاة في معالجة الترف، بعد أن بيّنت معنى الترف وصفات المترفين وطبيعة العلاقة بين الزكاة والترف، وموقف الإسلام منه في مطلبٍ أول، وأثر الزكاة في الوقاية من الجريمة ومعالجتها في مطلب ثانٍ، من خلال دوافع الجريمة من فقر وغنى وبطالة، ودوافع أخرى.

ثم بينت أهم النتائج المستنبطة من البحث في الخاتمة التي أنهيتها ببعض التوصيات.